

التبيان في تفسير القرآن

(493) يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون (109) آيتان هذا حكاية ما قال أشراف قوم فرعون، أن موسى ساحر عليهم بالسحر، وإنما قيل للأشراف الملا لأميرين: أحدهما - قال الزجاج: لأنهم مليونون بما يحتاج إليه منهم. الثاني - لأنه يملأ الصدر هيبتهم، فالملا جعل الوعاء على كل ما يحتمل مما يلقي فيه كامتلاء المكيال ونحوه. ويقال: الخلاء والملا على وجه التقابل، وقوم فرعون هم الجماعة الذين كانوا يقومون بأمره ومعاونته ونصرته، ولهذا لا يضاف القوم إلى الله، فلا يقال: يا قوم الله كما يقال يا عباد الله، والسحر لطف الحيلة في إظهار أعجوبة توهم المعجزة وقال الأزهري السحر صرف الشئ عن حقيقته إلى غيره، والساحر إنما يكفر بادعاء المعجزة، لأنه لا يمكن مع ذلك علم النبوة. وأصل السحر خفاء الأمر، ومنه خيط السحارة، لخفاء الأمر فيها، ومنه قوله تعالى " إنما أنت من المسحرين " (1) أي الذين يعدون لخفاء الأمر في العدو، والسحر العدو، والسحر آخر الليل لخفاء الشخص ببقية ظلمته، والسحور طعام السحر، والسحر الرئة وما تعلق بها لخفاء أمرها في انتفاخها تارة وضمورها أخرى، قال ذو الرومة: وساحرة الشراب من الموامي * يرقص في نواشرها إلا روم (2) ويقال: سحر الأرض المطر إذا جادها فقطع نباتها من أصوله بقلب الأرض طهرا لبطن، سحرها سحرا والأرض مسحورة، فشبه سحر الساحر بذلك بتخييله إلى من سحره أنه يرى الشئ بخلاف ما هو به.

_____ (1) سورة 26 الشعراء آية 153، 185. (2) ديوانه: 591 واللسان (أرم) وتفسير الطبري 13 / 19 وروايته: وساحرة الشراب من الموامي * ترقص في عساقفها

الأروم